

مسرقيات شوق وهل هى لشوقى؟؟

هل مسرقيات شاعرنا الخالد أحمد شوقى من صنعه
وحده؟

إن شعر المسرقيات من نظم شوقى.. فلا أحد سواه
يستطيع أن يصل إلى هذه القيمة العالية فى جزالة الأسلوب،
ووضوح المعنى، وفخامة الكلمة، وموسيقية التعبير.

ولكن البناء المسرحى لهذا الشعر من الذى أقامه؟.. هل
أقامه شوقى وحده، أو أنه استعان بمهندس؟

لقد استعان شوقى فعلا فى بناء مسرحياته بمهندس فنى!

وهذا المهندس ليس شاعراً، ولا ممثلاً، ولا مخرجاً
مسرحياً.. ولكنه طبيب.. هوايته الشعر والمسرح.. وقبل أن
أذيع اسم المهندس الفنى لمسرحيات شوقى، أبادر وأذكر أن
تصميم المسرحيات وأساسها وفكرتها، ومادتها الشعرية.. قام
بها شوقى..

وكل ما صنعه المهندس هو أنه أعاد النظر في الحوار،
وفي ترتيب الفصول، وتولى تنسيق الإطار الفني الذى ظهرت
فيه المسرحيات..

وقد نجحت المسرحيات بقوة الشعر.. وقدرة الممثلين على
الأداء، ولكنها لم تنجح فنياً، ولقد أجمع النقاد على أن شعر
شوقى فى القمة، وأن البناء المسرحى يحتاج إلى تعديل قد
يتطلب التصرف فى هذا الشعر البديع.. فأين الشاعر الذى
يستطيع أن يصل إلى قمة شوقى؟

وإذا وجدنا ذلك الشاعر، فكيف يمكن أن نتصرف فى
شعر شوقى بال حذف أو الإضافة، دون أن ترتكب جريمة فى
حق التاريخ؟

لست من هذا الرأى، ولكننى غير بعيد عنه. فأنا أرى
أن تعديل مسرحيات شوقى لا يتناقى مع الأمانة التاريخية، إذا
اقتصر التعديل على الحذف، ولم يتناول إضافة شعر آخر إلى
شعر شوقى. ربما قيل إن التعديل الفنى قد يحتم وضع شعر
جديد يقتضيه الجو والملاءمة والسياق.. فإذا نصنع..؟

إذا اصطدمنا بهذه العقبة، فمن الممكن تذليلها، بوضع

كلمات غير منظومة، وبذلك تكون الكلمات حركة إخراجية مكتوبة أشبه بحركات الإخراج على المسرح..

كان شوقي ينقد مسرحياته. ويعيد النظر فيها، وكلما شهد مسرحية أجرى عليها تعديلاً. وقد عرفته في أخريات حياته، وحضرت معه مسرحية (مصرع كليوباترا)، وكنت أحفظ أشعاره، وفي إحدى الجلسات أبدت له ملاحظة على الحوار الذى دار بين أنوبس وكليوباترا.. جو الموقف يقتضى أن يهون أنوبس من خطر الموت، حتى يغرى كليوباترا أن تنتحر دون أن تخاف.. كانت تسأله ماذا سيفعل الموت بها.. وما هو الموت؟

تقول له : وما الموت؟

أنوبس : ماذا أقول !

كليوباترا-تمثله لى كأن قد حضر..

أنوبس :

زعمت ابنتى الموت شخصاً يحس وعظمت من أمره ماصغر.

ويستطرد فيقول :

وما هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر

وقلت لشوق إن هذا ليس تهيناً من شأن الموت، ولكنه
تجسم لرهبته..

فأطرق شوق وقال: لو أبديت هذه الملاحظة قبل طبع
المسرحية.. لحدفته منها.

وقلت له: عندي اقتراح.

فقال: ما هو؟

قلت: يبقى هذا البيت على لسان كليوباترا.. وبدلاً من
أن يكون البيت:

وما هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر
يصبح البيت هكذا:

وهل هو إلا انطفاء الحياة وعصف الردى بسراج العمر
فقال شوق: إن هذا يقتضى أن يجرى البيت التالى على
لسان كليوباترا وليس على لسان أنوبيس، ويمكن تعديله على
هذا النحو:

أليست له صورة فى العيون على قبح صورته فى الفكر
فيقول أنوبيس:

وليست له صور فى العيون على قبح صورته فى الفكر

إذا جاء كان بغيض الوجود وإن جرى كان حبيب الصور
وسجل شوقى هذه الملاحظة في ورقة صغيرة، وقال إنه
سينفذها في الطبعة الجديدة لمصرع كليوباترا. ويظهر أن الورقة
التي دون فيها شوقى ملاحظته ضاعت منه، فقد صدرت بعد
وفاته عدة طبعات لمصرع كليوباترا، ولكنها خلت من التعديل
الذى اقنع به شوقى.

ضربت هذا المثل.. لأبين حرص شوقى على الكمال
الفنى، فالفن انتقاء، وحذف، وإضافة.. والانتقاء، والحذف
والإضافة، لا ينبغي أن يتولاها إلا الفنان نفسه.. ولكن إذا
ذهب الفنان وكانت آثاره تحتاج إلى انتقاء، وحذف وإضافة،
فهل تهمل هذه الآثار؟ هل نتركها تخفق؟ أو أن الفن
يقتضينا إجراء تعديل لها؟

أعتقد أن هذا السؤال يحمل الجواب الصحيح، وهو ألا
نتردد في إجراء أى تعديل لا يمس جوهر العمل الفنى،
وما أنادى به بالنسبة لمسرحيات شوقى.. حدث بالنسبة إلى
مسرحيات شكسبير، وحدث بالنسبة إلى بعض ألحان سيد
درويش.. فإن أغنية (زوروفى كل سنة مرة) التى تغنيها فيروز

في الإطار الذي رسمه لها أخوان رحباني قد بلغت من النجاح الفني ما لم تبلغه وهي في إطارها الذي وضعه سيد درويش نفسه.

وهذا لا يغض من قدرة سيد درويش.. بل يرفع قدره، ويثبت أن المعدن الفني الأصيل، إذا تشكل في أي قالب لا يفقد قيمته ولكن يزداد جمالا.

بق أن تعرفوا المهندس مسرحيات شوقي.. إنه الدكتور سعيد عبده.. ويمكن أن نستعين به في تعديل مسرحيات شوقي، إذا ما وجدنا بين المشتغلين بالمسرح من يجرؤ على وضع هذه المسرحيات في إطار يجعل قيمتها الفنية تتلاءم مع قيمتها الشعرية.

وطنية شوقي

زارى أحد خريجي كلية الآداب ودارت بيننا مناقشة حول وطنية شاعرنا الخالد أحمد شوقي.. وقال لي إنه يعد رسالة عن الشعراء الوطنيين في الخمسين سنة الماضية، وإنه لم يجد

لشوق قصيدة واحدة تدل على وطنيته، وتجاوبه مع مشاعر الشعب.

وقلت للزائر الأديب: هل درست شوق دراسة تستطيع معها أن تحكم على وطنيته؟

فقال: لقد كان شوق مخالفاً للحركة الوطنية التي تزعمها مصطفى كامل.. كان في جانب.. والشعراء كلهم في جانب! ولم يسعى إلا أن أقاطعه وأنبهه إلى عجزه عن فهم العصر الذي عاش فيه شوق، وكيف أن شوق على الرغم من انتمائه للقصر، كان يفعل بمشاعر الشعب، ويعبر عن الاتجاه الوطني في كثير من المواقف.

وسألني: أين قصيدة شوق في حادث دنشواي؟.. أين شوق من حافظ؟

وقلت: إن حافظاً هجا إبراهيم الهلباوي.. المدعى العام، ولم يهج القضاة المصريين الذين اشتركوا في إصدار الحكم الجائر..

وقال: وهل هجا شوق هؤلاء القضاة؟
وحكيت له القصة التاريخية المعروفة.. وهي أنه عقب

صدرور الحکم فی مأساة دنشواى عام ۱۹۰۶ صدر أمر بترقية
أحمد فتحى زغلول.. إلى منصب وكيل وزارة العدل.. وكان
أحد قضاة المحكمة الظالمة، وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق
شبرد، ودعى شوق إلى الحفلة.. فأرسل إلى المشرفين عليها
هذه الأبيات :

إذا ما جمعتم أمركم وهمتمو بتقديم شىء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة وسروال مجلود.. وقيد سجين
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه من الشعر.. حكم خطه بيمين
ولا تفرقه فى «شبرد» بل اقرءوا على ملا فى دنشواى حزين!

شوق وحافظ

أعتقد أنى كنت واضحاً.. عندما تكلمت عن موقف
شوق وحافظ من حادث دنشواى، فقد سجلت أن حافظاً لم
يتعرض فى قصيدته للقضاة المصريين، وصب لعناته على
إبراهيم الهلباوى المدعى العام، وأن شوقياً هاجم القاضى
المصرى أحمد فتحى زغلول وقال فيه أبياتاً تنبض بالازدراء
والمرارة..

ولم أقصد بذلك.. إلا أن أصحح ما رسب في الأذهان عن وطنية شوق، فقد كان برغم وضعه من القصر، يعبر عن آمال الشعب وآلامه، وكانت ظروف وظيفته تقتضيه أن يستعمل الدبلوماسية والكياسة حتى لا يخرج نفسه مع القصر، ولا يخرج القصر معه، وكان معروفاً عنه أنه يكره الإنجليز والاحتلال، ويشايح الحزب الوطني.

وكان للوطنية في تلك الأيام أكثر من مفهوم.. هناك من جاهر بمقاومة الاحتلال والتمسك بالولاء لآل عثمان، وهناك من دعا إلى التخلص من سيطرة آل عثمان والتفاهم مع الإنجليز على الجلاء.. وهناك من تمرد على الاحتلال والقصر معاً.. ونادى بالاستقلال التام.

وكان شوق يكفر بالاجتلال، ويؤمن بالخلافة، وكذلك كان الحزب الوطني يوماً ما..

وبعدما عاد شوق من المنفى، ناصر الحركة الوطنية الشعبية التي انبثقت من انتفاضة ١٩١٩ برئاسة سعد زغلول، ولكنه كان غير متحزب في مناصرته للحركة، وكان يبث آراءه ونصائحه بدبلوماسية وكياسة.. كان ضد طغيان الأقلية، وضد

طغيان الاكثرية.. ولم يقع حادث في بلادنا، أو خارج بلادنا،
دون أن يسجله..

وقد تلقيت من الأستاذ محمد الغزالي حرب كلمة أشار
فيها إلى وطنية شوقي، وأنكر الأبيات التي أوردتها في يوميات،
وقلت إن شوقيا قالها بمناسبة حفل تكريم فتحي زغلول..

وقال إنه يحفظ هذه الأبيات ولا يعرف أنها لشوقي، وإنه
بحث عنها في الشوقيات فلم يجدها.. وخشى على ذاكرتي أن
تكون قد خانتني..

وأبادر فأذكر.. أن الأبيات الأربعة، تسابقت الصحف
الوطنية في نشرها، ونسبتها إلى شوقي عام ١٩٠٦، وقد نقلها
المؤرخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعي من الصحف
وسجلها في كتابه «شعراء الوطنية» صفحة ٧٩.

ويستطرد الأستاذ الغزالي فيسجل على شوقي أنه قال
قصيدته في دنشواي بعد وقوع الحادث بعام.. ثم يسجل
لشوقي أنه ليس أقل وطنية من حافظ وأن ما يؤخذ على حافظ
أفدح بكثير مما يؤخذ على شوقي، ويعزز رأيه بأبيات كثيرة
للشاعرين.

وقد نقل من شعر حافظ بعض ما نظمه في الإشادة
بعدل بريطانيا، وكيف كان حافظ يودع المندوب السامى
القديم.. ويستقبل المندوب السامى الجديد.. ويمجد العرش
البرطانى ويقول مخاطباً الإنجليز:

أنتم أطباء الشعوب وأنبل الأقسام غاية

أنى حللتكم فى البلاد لكم من الإصلاح غاية

ثم قارن بين قصيدة حافظ فى وداع كرومر، وقصيدة شوقى
فى ديشواى بعد سفر كرومر.. وذكر أن حافظاً قال لكرومر:

سنطرى أيدىك التى قد أفضتها علينا، فلسنا أمة تجحد اليداء
وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهران عدا
فى حين يقول شوقى:

نيرون لو أدركت عهد كرومر لعرفت كيف تنفذ الأحكام
ولشوقى قصيدة مشهورة فى وداع كرومر.. وفيها يقول:

لما رحلت من البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء وبيلا
وأذكر هنا للتاريخ أن شوقياً نشر هذه القصيدة فى
الصحف بدون توقيع، وبعد ذلك سجلها فى الشوقيات.

وأعود للأستاذ الغزالى، لأقتبس من مقاله هذه الفقرة:

«لا ينبغي لأحد أن يسأل في مجال الوطنية: أين شوق من حافظ بل يجب أن يكون السؤال هو: أين حافظ من شوق؟»

ولاشك أن فيما قاله الأستاذ الغزالي مغالاة.. فكلما الشعراء شوق وحافظ له كثير نحسبه له، وكثير نحسبه عليه.

ذكريات عن الشاعر الخالد في يوم ذكراه

مرت ذكرى شوق هذا العام في هدوء، فلم تحتفل بذكراه هيئة أدبية فنية، ولم تظهر عنه دراسة جديدة. كل ما حدث أن التليفزيون أذاع برنامجاً عن شوق، أعدده الأستاذ محمد علي حماد.. واشترك فيه ابن شوق الأستاذ حسين شوق والدكتور سعيد عبده وأم كلثوم وعبد الوهاب، وهو برنامج يتسم بالوفاء أكثر من أي شيء آخر. ولكن هل معنى ذلك أن يد النسيان بدأت تمتد إلى اسم الشاعر الخالد، تمحو منه بعض النقاط، أو بعض الحروف؟

كلا.. فقد ظللنا عدة أعوام لا نحتفل بذكرى شوقي على المستوى الذى يليق به.. ثم احتفلنا - شعباً ودولة - بهذه الذكرى فى مؤتمر استمر أياماً، وساهم فى المؤتمر ممثلو البلاد العربية، وكتب النقاد والمختصون دراسات جادة عن الشاعر الذى تفجرت موهبته منذ سبعين عاماً.. شعر يختلف النقاد على شكله، ولكنهم أجمعوا على أصالة جوهره..

وجاء الزمن، فأثبت أن الشعر الصحيح لا يموت.. أياً كان إطاره وقالبه.

وقد لاقى شوقي فى حياته هجوماً عنيفاً من خصومه. بعض هؤلاء الخصوم يحملون على شخصه، ولم يكن يحفل بهم. وبعضهم الآخر كان يحمل على طريقته وأسلوبه، وقد اهتم بهم، ولكنه لم يتول الرد عليهم، كان يرى أن الشاعر هو الشعر. فهل يستطيع أن يفسر نفسه بنفسه؟ هل يستطيع إذا سئل ما هو؟.. أن يجيب ماهو؟

إن الشعر، والموسيقى، والنحت، والرسم، وكل الآثار الفنية مثل مفاتن الطبيعة.. لا ينبغي أن نسألها عن سر فتنتها.. فالجواب ليس عندها، ولكن عندنا نحن الذين أخذتنا

فنتتها وعبرنا عنها، بقصيدة أو لحن، أو تمثال، أو لوحة..
وفي المهرجان الذى بايعه فيه شعراء العرب بإمارة الشعر،
قال شوقى يحيى من بايعوه :

إنما أظهروا يد الله عندى وأذاعوا الجميل من إحسانه
مالرحيق الذى يذوقون من كرمى .. وإن عشت طائفاً بدنانه
وهبوني الحمام.. لذة سجع أين فضل الحمام فى تخنانه؟
وتر فى اللهامة ما للمغنى من يد فى صفائه وليانه؟

إن شوقيا فى هذه الأبيات يرى أن الفن موهبة، وهنا يتبادر
إلى الذهن سؤال.

هل تستطيع الموهبة وحدها أن تخلق عملاً فنياً كاملاً؟
فى رأى أن الموهبة التى لا يصقلها العلم، والثقافة
والدراسة.. قد تنطلق منها شرارة تلفت النظر. ولكن لا
تندلع منها نار تثير الفكر. وقد كان شوقى موهبة صقلتها
ثقافات متعددة، شملت السياسة والتاريخ، والقانون، والآداب
العالمية، والفنون، والأديان، وأصول اللغة..

وإذا شبهنا الموهبة ببئر البترول، فإن الثقافة هى معامل
تكرير البترول، وبغير هذا التكرير لا يمكن أن نستغل البترول

في تسيير الطيارات، والسيارات.

وقد حلقت طائرة شوقي بموهبته التي صقلها بالثقافة..
سارت ببتوله الذي كرره بالعلم والمعرفة..

وكان شوقي يؤمن كما قلنا بأن الشعر هو الشاعر، والشعر
لا يستطيع طبعاً أن يرد على ناقديه، وكذلك الشاعر لا ينبغي
أن يفسر أعماله، أو يدافع عنها.. فهذه مهمة الناقد..
ولكن شوقي على الرغم من إيمانه بذلك.. كان يضيق
بهجوم النقاد، وكان يعبر عن ضيقه بأبيات يثها بين قصائد
لا تمت إلى النقد بأية صلة..

كان الأستاذان الكبيران عباس العقاد وإبراهيم المازني قد
أصدرا أول جزء من كتابها الديوان، وفي هذا الجزء تناول
العقاد قيمة شوقي.. وهل هو شاعر خالق، أو أنه شاعر
ينسج على منوال غيره من الشعراء القدامى، فهو يستخدم
النماذج السابقة، والقوالب القديمة، وما يتجلى في شعره من
بريق، ليس مبعثه شاعرية أصيلة، وإنما مبعثه ممارسة النظم
فترة طويلة من الزمن..

وثار شوقي، وثار له كثيرون من الكتاب وردوا على

العقاد، ولكن ردودهم لم تتضمن أكثر من كليل السباب للعقاد
والمدرسة الحديثة، وإحراق البخور حول شوق.. كانوا يشيدون
بشوق ويسبون العقاد، وكان العقاد يدافع عن الشعر الحديث
ويسب شوق عن علم، وعن تعصب أيضاً..

وفي هذه الأثناء نظم شوق قصيدة استقبل بها أم الخديو
عباس، وكانت ممنوعة من دخول مصر، وأذن لها الملك فؤاد
بالدخول لدفن حفيدها، ومنعت الحكومة الناس من استقبالها،
ومنعتهم من تشييع الجنازة.

وتحمس شوق لاستقبال أم الخديو، وهاجم الذين منعوا
الجمهور من استقبالها وقال:

برئ الرفق من السيف الذي منع الأم ملاقة البنسين
أقبل كالشمس لم تجعل لها موكباً.. أوتخذ من حاشرين
أقبل في بحرك الطامى إذا عبث السيف بموج المهتمين

ثم قال يخاطب أم الخديو:

لا تروى غير شعري موكباً إن شعري درجات الخالدين
أب من قيمتك الدهر كما رجع النقد من الشعر الرصين!
وهو في هذين البيتين إنما أراد أن يرد على من هاجموه..

وفي ذكرى الصحف الوطنية الكبير أمين الرافعي، أعد شوقي قصيدة.

وكان أستاذا الدكتور محمد حسين هيكل رئيساً للجنة الاحتفال، وهو صديق لشوقي، وقد كتب مقدمة ديوانه، وأشاد بشاعريته. ثم حدثت بينها جفوة شديدة، وليس هنا مجال الكشف عن أسبابها..

ورأى الدكتور هيكل أن يحتجز القصيدة إلى نهاية الحفلة حتى يربط الجمهور. وكانت الحفلة في دار الأوبرا، وقد تحددت لنهايتها الساعة الثامنة مساء، وقبل هذا الموعد، نهض الدكتور هيكل وأعلن أن الوقت لا يتسع لإلقاء قصيدة الشاعر أحمد شوقي بك.. وأن اللجنة رأت أن تكتفي بنشرها في الصحف.

وعرف شوقي النبأ، وكان معتكفاً في داره.. واعتقد أن الدكتور هيكل أساء النية لسببين: هما أنه أرجأ إلقاء القصيدة إلى آخر البرنامج، أما السبب الآخر فهو أنه لم يطلق عليه لقب أمير الشعراء واكتفى بأن خلع عليه وصف الشاعر فقط..

وغادر شوقي داره، وطاف بالصحف التي أعدت القصيدة
للنشر، وأضاف إلى قصيدته هذين البيتين:
إن يفت أمس منبر القول شعري إن لي المنبر الذي لن يزولا
جل عن منشد سوى الدهر يلقيه على الغابرين جيلا فجيلا
لا أريد بهذه الكلمات أن أحى شوقيا ولكن أريد فقط أن
أضع على قبره زهرة صغيرة في يوم ذكراه.

شاعرنا الخالد..

في حديقة الخالدين

ما أكثر الذين خطر لهم أن شاعرنا الخالد، لم يكن
يتصور، أنه بمرور أكثر من ثلاثين عامًا على وفاته، سيتحدث
الناس عنه، كما لو كان حيًا، فيناقشون آراءه، وأسلوبه
الفني، وسلوكه الاجتماعي.. هل كان شجاعًا؟ هل كان
جبانًا؟ هل كان مع الشعب؟ هل كان مع الملوك الذين
ولدته أمه وهي وصيفة في قصورهم؟ هل كان يتملق الطغاة؟
ما قيمته كشاعر؟ هل له شخصية منفردة؟ أهو فنان خالق،
أم أنه صانع يتقن صناعة الشعر؟؟

وقد أجاب المؤمنون بالشاعر عن هذه الأسئلة، وأصروا على أنه قلة. ولكن الإيمان، مثل الحب، يتدخل في الآراء.. فيضيق عليها ما يثير الظنون!

أما الزمن، فهو وحده، القاضى الذى يفرض حكمه على القيم، ولا حيلة لأحد فى أن ينقض هذا الحكم أو يلغيه! ولقد حكم الزمن لشاعرنا العظيم أحمد شوقى، وفرض عبقريته وخلوده، وجعله حتى يومنا هذا، إنساناً حياً يتحرك، ويتلفت ويتكلم، وينبرى له النقاد، وناقشون حركاته، والتفاداته، وكلماته، كما لو كان يعيش معهم، ويعيشون معه! وبالأمس القريب تجدد الحديث عن شوقى، وتناثرت أسئلة أخرى حوله: هل كان شوقى يظن أنه سيأتى اليوم الذى يقام له فيه تمثال خارج بلاده؟ وأين؟ فى روما!! فى حديقة الخالدين!!

والذين عرفوا شوقى، ولو من خلال أشعاره، يستطيعون أن يقولوا، دون أن يتجاوزوا الحقيقة إن شوقى كان يحس فى أعماقه، أن التقدير الكبير الذى لقيه وهو حى، سوف يتضاعف بعدما ينتقل إلى العالم المجهول.. ربما لم يسدر فى

خياله، أن روما ستسبق مصر إلى إقامة تمثال له. ولكن الشيء الذى كان على يقين منه.. هو أن وطنه سيقم له التماثيل فى الحدائق والميادين، بعدما يتحرر من جسده، ولا يبقى منه إلا الروح والشعر والفن!

ولكن الذى حدث أن إيطاليا سبقتنا إلى تكريم العبقريّة العربية، فقررت أن تضع تمثال شوقى فى حديقة الخالدين بروما، إلى جانب تماثيل عباقرة العالم. وأقامت لهذه المناسبة احتفالا رسمياً، حضره وزير الثقافة الإيطالى، وعمدة روما، والفنانون، والعلماء، والشعراء ورجال سفارتنا، وعشرات من مختلف البلاد العربية، بينهم الفنان المصرى العربى جمال السجيني صانع التمثال، وتولى الوزير المصرى العربى ثروت عكاشة إزاحة الستار عن تمثال العبقريّة المصريّة العربية.. أمير شعراء العرب.. وشاعر الإنسانية.. الذى انفعل بمحاضرتها ومفاتها ومآسيها. وكان شعره صدى للأحداث التى شهدتها بنفسه أو عاشها فى التاريخ.

ولقد كرمت مصر شاعرها الأكبر بأساليب مختلفة، فأطلقت اسمه على الشوارع، ووضعت جوائز تشجيعية باسم

أمير الشعراء، واحتفلت بذكراه، وأصدرت عدة دراسات عنه، وقررت إقامة أربعة تماثيل له.. أحدها في الجزيرة، والثاني في الإسكندرية، والثالث في مبنى مجلس الفنون الأعلى، والرابع في مدخل دار الأوبرا الجديدة، التي سيتم بناؤها في الحديقة المقابلة لحديقة الأندلس بجوار قصر النيل^(١).

وشوق لم يستمد مكانته الخالدة من أنه كان شاعر الأمراء، أو أمير الشعراء.. وإنما استمد هذه المكانة لأنه كان شاعراً حقاً، امتاز بموهبة صقلتها ثقافة متعددة الجوانب، وعقلية متفتحة، واعية، وفن أصيل ينبض بالحياة.. والإنسانية، وتنبض فيه الحياة.. والإنسانية.

والأشكال ما هي إلا زخارف وألوان، وإنما الشاعر.. هو من تحس أنه خلق جوهرًا، أو حقيقة، أو جَوْءًا، فإذا ارتبط هذا الخلق، بالشكل الذي يلائمه ارتباطًا موسيقيًا، في عمل واحد متكامل أو محاولة جديدة لم تتم.. كان الشاعر جديرًا بالبقاء.

وشوق، مثل أى فنّان، بدأ بمحاكاة غيره، وعاش فترة

(١) كان هذا قبل حريق دار الأوبرا القديمة وتعزيز بناء الدار الجديدة مكانها.

طويلة يستعمل الديباجة التي استعملها من سبقوه من الشعراء، وكان يجارهم، فيلحق بهم، ويسبقهم، ويتخلف عنهم، ثم عثر على نفسه، فصار حرًا له شخصية فنية فذة، خلقت في الشعر العربي، جوهرًا، وحقيقة، وجوًا. فشوق عالج أحداث التاريخ بأسلوب جديد ساحر، وصنع لوحات وتمثيل رائعة لآثار قدماء المصريين، ووضع أول محاولة جادة للمرحية الشعرية في الأدب العربي.

ولم يكن مجرد شاعر، ينسق الجملة تنسيقًا موسيقيًا. ولكن كان له إلهام، وهذا هو الفرق بين الشعر الصحيح، والشعر الزائف، فالشاعر الملهم يعتقد أن انفعالاته الذهنية والنفسية إنما هي وحي من قوة ذات قداسة، وليس من حقه أن يتصرف في التعبير عن هذا الوحي، فيضع كلمة غير الكلمة التي يجب أن يعبر بها عن الوحي، ولو كانت الكلمتان متشابهتين، بل يجب عليه أن يقول الكلمة ولو كلفه ذلك أن يعانى من الألم، والإرهاق، والعذاب، ما يفوق طاقته. وقد رأيت شوقيا وهو يسجل خواطره . . كان يحيل إلى أنه مجنون، أصيب بغتة بنوبة صرع . . كان يجلس بيننا، ثم يقفز من مكانه إلى مكان آخر، ويخرج من جيب سترته علبة السجائر

ويكتب فيها كلمات. ويعود إلينا أو نلحق به، والعرق يتصبب من جبهته.. وعيناه مغرورقتان في لمعان أشبه بالدموع، وأنفاسه لاهثة!

وكانت هذه الحالة تتناوب طيلة معاناته نظم إحدى قصائده. فإذا فرغ من تسجيل خواطره ساعة بساعة، ويوماً بعد يوم، وضع رأسه بين كفيه وأملى القصيدة كاملة على أحد المقربين إليه. ثم عاد إلى مراجعة الأوراق والقصاصات التي سبق أن سجل فيها خواطر القصيدة.. فإذا ما أملاه عن ذاكرته لا يكاد يختلف عما سجله في بضعة أيام متفرقة، إلا في كلمة، أو كلمتين! وقد كان شوقياً مؤمناً بأنه شاعر أعماق وجذور، وكان مع ذلك يفزع من مهاجمة النقاد له. وكثيراً ما سئل: لماذا تخاف حملات النقد.. فكان يقول: إنه فنان، والفنان يسعده أن يقتنع جيله بعمله.. فإذا ما استمرت حملات النقد، فقد يتأثر بها أبناء الجيل، وينصرفون عن الفنان وهو حيّ، ولا يقبلون عليه إلا بعد ما يموت!

كان يؤمن بأنه سيعيش بشعره.. سيعيش آلاف السنين، ولم يكن يخفى هذا الإيمان، بل لعله عبر عنه عشرات المرات في عدة قصائد:

فعدنما رثى الزعيم الوطنى مصطفى كامل قال :
وأنا الذى أرى الشمس إذا هوت فتعود سيرتها إلى الدوران !!
ولما منعت السلطات استقبال أم الخديو عباس بعد خلعه
عن العرش قال يخاطبها :
لا ترومى غير شعرى موكباً إن شعرى درجات الخالدين
كل حمد لم أصغه زائل خالد الحمد بما صغت رهين
هذه خواطر عن شوقى.. الذى احتفلت إيطاليا بإزاحة
الستار عن تمثاله فى حديقة الخالدين. وأنا بهذه الكلمة أحاول
أن ألقى بعض الضوء عليه، ولكنى أحاول من خلال خواطرى
أن أرى تمثاله القائم هناك فى روما.. تحف به تمائيل زملائه
من عباقرة الفكر، والفن.

مؤلفات شوقى

تلقيت من الأستاذ الدكتور محمد صبرى كلمة عن
مؤلفات الشاعر الخالد أحمد شوقى، وكان أحد القراء قد
سألنى عن آثار شوقى، فأحلته على الدكتور صبرى، وهذه هى
الكلمة :

الشوقيات : صدر الجزء الأول طبعة قديمة سنة ١٨٩٨ .
ويشتمل على مقدمة لشوقي وقصائد من ١٨٨٨ إلى ١٨٩٨ .
والواقع أنه يضم قصائد من ٨٨ إلى ٨٩ كما أن تاريخ
صدوره الحقيقي في مارس ١٩٠٠ . وقد أعيد طبع هذا الجزء
بنصه دون أى تعديل أو إضافة سنة ١٩٣٠ وفي أكتوبر سنة
١٩٣٢ مات شوقي .

وفي سنة ١٩٣٦ صدر الجزء الثالث (المراثي) . وفي سنة
١٩٤٣ صدر الجزء الرابع على غير نمط الأجزاء السابقة التي
أشرف شوقي قبل موته على إصدارها أو إعدادها .
وفي سنة ١٩٣٣ صدرت في كتاب ملحمة شعرية تاريخية
(دول العرب وعظماء الإسلام) كان نظمها في منفاه بالأندلس .
الروايات : رواية (على بك أو ما هسى دولة المماليك) .
ألفها وهو نزيل باريس في أكتوبر سنة ١٨٩٣ .

وفي مارس سنة ١٩٣٢ أعاد بناءها وأصدرها من جديد ،
فأصبحت رواية أخرى تحت الأولى . فلم يعد طبعها . وفي سنة
١٨٩٧ نشر رواية (عذراء الهند) - وهى رواية نثرية - في
(الأهرام) من ٢٠ يوليو إلى ١٦ أكتوبر تحت عنوان (عذراء

الهند أو تمدن الفراعنة). وظهرت في كتاب في نوفمبر من السنة نفسها، كانت توجد منه نسخة في مكتبة طلعت بالقلعة، ولكنها أصبحت في حكم المفقودة. وفي ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ صدر العدد الأول من مجلة (الموسوعات) لصاحبها حافظ عوض.

وقد ألحقت بهذا العدد الملزمة الأولى من رواية (لادياس). وقد تمت وطبعت على حدة سنة ١٨٩٩. وهى رواية نثرية. وفي العدد ١٣ من السنة الأولى (إبريل ٩٩) ظهرت الملزمة الأولى من رواية (دل وبتان أو آخر الفراعنة).. وقدمت الرواية وطبعت على حدة فى سنة ٩٩ أيضاً. وهذه الرواية لم يعد طبعتها، وكان مصيرها مصير رواية على بك القديمة، لأن شوقيا أعاد بناءها من جديد شعراً.. لانثراً هذه المرة، وعالج نفس الموضوع بعنوان (قبين) سنة ١٩٣١.

وفي سنة ١٩٠١ - ١٩٠٢ نشرت (المجلة المصرية) لصاحبها خليل مطران رواية نثرية (شيطان بتناؤور) ولكنها لم تطبع على حدة وتجمع فى كتاب إلا فى سنة ١٩٥٣. وفى سنة ١٩٠٤

ظهرت رواية (ورقة الاسب) - وهي رواية نثرية - ضمن روايات مسامرات الشعب وقد أعيد طبعها بعد موت شوقي.

وفي سنة ١٩٢٩ ظهرت رواية (مصراع كليوباترا) فكانت لها ضجة في عالم الأدب والتمثيل. وتبعها قبيز كما قلنا (١٩٣١) و (مجنون ليلي) - ١٩٣١. وعلى بك الكبير كما قلنا (مارس ١٩٣٢) و (عنترة) - ١٩٣٢ (بعد موت شوقي بأشهر)، وأميرة الأندلس (١٩٣٢) وهي رواية نثرية. روى لي الدكتور سعيد عبده أن شوقيا أتى بهذه الرواية مسن الأندلس في مجلدات وكانت مفككة. وأنه بعد نجاح (مجنون ليلي) و (كليوباترا) أخذ يعيد النظر في أميرة الأندلس ولكنها أخفقت بعد تمثيلها نصف ليلة.. وهي رواية ضعيفة كجميع رواياته النثرية القديمة. وقد طبعت (الست هدى) طبعة هزيلة، وهي رواية قديمة يرجع تأليفها إلى ما قبل سنة ١٩٢٢. وقد نشرت (الرسالة) في سنة ١٩٣٣ منظرًا منها أعدنا نشره. وله أيضًا رواية (البخيلة). وهذه الرواية لم تم ولم تطبع. وقد أعارنا الدكتور الأديب سعيد عبده (مخطوطة) الرواية فنشرنا زبدتها (فصلا كاملا وقطعتين) في (الشوقيات المجهولة).

النثر: ظهرت (أسواق الذهب) طبعة الهلال سنة ١٩٣٢

- قبل موت شوق فيما أعتقد - وأعيد طبعها سنة ١٩٥١ .
وأكثرها على أسلوب المقامات بعضها قديم يرجع إلى أوائل
هذا القرن وبعضها جديد كتبه شوق في المنفى .

وللأستاذ كامل الشناوى الحق أن يسأم أسلوب المقامات ،
ولكن وسط هذا الحصى المتراكم والصدف المبعثر .. نجد الدر
التيتم الذى يتألق بعبقرية أحمد شوق !

الفنان الذى قال كلمته

.. ولم يمش

كان المفكر الألمان نيتشه، يصرخ فى الناس أن يقولوا
كلمتهم وتمزقوا دونها... وهناك مفكر عربى - لعله أمين
الريحانى - همس فى كل أذن بهذه النصيحة السديعة : قل
كلمتك وامش !

والفنان الصادق، هو الذى يستطيع أن يقول كلمته، ثم
يتمزق.. أويقولها ويمشى فى سلام !

وشوق شاعر فنان، شق طريقه إلى الخلود، لأنه عرف

كيف يقول كلمته.. وهو لم يقلها ثم تمزق ولم يقلها ومشى،
ولكن قالها وظل صامداً لها!

إن الظروف التي أحاطت بشوق منذ فجر حياته كانت
كفيلة أن تطبق شفثيه في بعض المناسبات، وبسرغم ذلك،
تمحى ظروفه وعبر عن خواطره وانفعالاته، بقوة وطلاقة. لقد
ربط مصيره بمصر، وطنه الذي ولد فيه، وآمن بمصر العربية،
ومصر الإسلامية، ومصر القوية الفرعونية ذات الحضارة التي
تتحدى الزمن، وتنحى لها هامة التاريخ.

ومصر التي عرفها، كانت تتنازعها سلطتان، إحداهما
سلطة الاحتلال البريطاني.. والأخرى سلطة الخديو، وكان
يعادى المحتلين لأنهم يمثلون الغدر والعدوان، ويقف إلى جانب
الخديو، بوصفه الممثل الشرعي لخليفة آل عثمان، وكان شوق
يؤمن بالخلافة، ويرأها رمزاً للوحدة الإسلامية، واندفع في
تأييدها برغم ما ارتكبه من خطايا في حق مصر، والعرب،
والإسلام.. وكان اتجاه شوق متمشياً مع اتجاه الحزب الوطني
وزعيمه مصطفى كامل. وتطورت نظرة الشعب المصرى إلى
التبعية العثمانية، والاحتلال البريطاني. واختلف رجال الحزب

الوطني مع الخديو عباس الثاني، بعدما تبينوا أنه لا يؤمن بالمبادئ الوطنية، ولكن يلعب بها، ليستأثر باستغلال ثروات البلاد، ويستنزف دماء الفلاحين والكادحين، وقامت ثورة ١٩١٩، وتغير لقب الخديو. فصار سلطاناً، ثم ملكاً، وطالب الشعب بجلاء القوات البريطانية وكانت القوة الشعبية بطبيعتها تنفر من العرش، وكان العرش يفرغ منها ويخشاها.

لم يمش شوق فترة الثورة في مصر، فبعدها تم خلع الخديو عباس من منصبه، نظم شوق قصيدة استقبل بها السلطان حسين. ورأت السلطات البريطانية في هذه القصيدة حساً على كراهيتها، وتمجيذاً للخديو المخلوع. فقررت الحكومة البريطانية أن تنفي شوق خارج البلاد، وظل بضع سنوات في إسبانيا، وفي أواخر عام ١٩٢٠ عاد إلى مصر، فوجد الثورة وانفعل بها، وكان يتعقب الإنجليز في كل مناسبة بتجريحهم، وتآلب الرأي العام عليهم، وحرص على ألا يتوجه بقصائده إلى الملك فؤاد، الذي حل مكان السلطان حسين كامل، ولكنه لم يلبث أن أشاد به في بعض القصائد العامة. مثل قصيدة توت عنخ آمون. التي يشير فيها إلى سرقة جثة

الملك الفرعون، ويتم الإنجليز بأنهم هم الذين سرقوا الجثة،
ولا ينسى أن يبكى على الخليفة الذى خلعتة بريطانيا من تركيا
فيقول :

أمن سرق الخليفة وهو حى يعف عن الملوك مكفينا؟!

وعندما كان شوق شاعر الأمير، وكان يشغل منصباً هاماً
في القصر، وقعت أحداث اهتز لها ضمير الشعب، مثل
حادث دنشواى، وعزل كرומר، ووفاة مصطفى كامل، وجاءت
وفاته عقب خصومته للخديو، ولقد قال شوق كلمته في مأساة
دنشواى وفي كرומר، ولكنه لم يستطع أن ينشر ما قاله بتوقيعه
الصريح.. ورث مصطفى كامل بقصيدة عبر بها عن حزنه
وحبه للزعيم الوطنى، بصدق وانفعال.

وقد نال شوق في حياته شهرة ومجدًا.. وفي رأيسى أنه
ظفر بالشهرة قبل نفيه إلى أسبانيا، فقد كان شعره برغم
جزالته وما يتميز به من إشراق في البدياجة، ونبض
موسيقى.. لا يعلو على شعر غيره من كبار الشعراء
المعاصرين، أمثال محمود سامى البارودى، وإسماعيل صبرى،
وأحمد محرم، وحافظ إبراهيم، فلما عاد من المنفى، ظفر إلى

جانب الشهرة بالجد، فقصائده التي نظمها خلال الفترة من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٢، تعد أضخم آثار شوقي وأكثرها أصالة، وتلقاً. وفي هذه الفترة بالذات، كان شوقي يعبر عن آرائه في الأحداث بشعر اتخذ طابع الدبلوماسية دون أن يضطر إلى التخلي عن أسلوبه الفني الرفيع.

فهو يتعرض لتصريح ٢٨ فبراير وما ترتب عليه من وضع دستور ١٩٢٣، وإقامة حياة نيابية بشكل ما، فلا يرى أن في ذلك خلاصاً من القيد ويقول:

إلام الخلف بينكمو إلاما وهذي الضجة الكبرى علاما؟
وأين ذهبتمو بالحق لما ركبتم في قضيته الظلاما؟
ثم يخاطب مصطفى كامل قائلاً:

شهيد الحق: قم تره يتياً بأرض ضيعت فيها اليتامى
ويرى سعيد زغلول القاضي وهو أحد أقارب الزعيم سعد
زغلول، فيلمح إلى الزعماء المختلفين جميعاً، ويقول:

أيهم من أتى برأس كليب أوشنى القطر من عياء احتلاله
وهو يرى أن كل فرحة زائفة ما لم يتحقق جلاء
الإنجليز. ويقول:

والله مادون الجلاء ويسومه يوم تسميه الكنانة عيداً
وكانت آراء شوقي في الأحداث الكبيرة تتسم بالعمق،
والوطنية، والنفاز إلى كشف الحقيقة ما عدا حادثاً واحداً هو
حادث الثورة العراقية، وقد هاجم عرابي، وكان مفهوماً أن
هذا الهجوم بدافع علاقته بالخديو الذي أرادت الثورة العراقية
المجيدة أن تقتلع جذره من العرش وتحمرر المصريين من ريقه
العبودية.

وفي هذه الفترة بالذات - من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٢١..
أخرج شوقي مسرحياته التي تعد أول محاولة فنية جديدة للشعر
المسرحي في اللغة العربية.. وهي مجنون ليلى، وكيلوباترا،
وقبيز، وعلى بك الكبير، والست هدى، والمعروف أن
المسرحيتين الأخيرتين، كان شوقي قد نظمهما في صباه، ثم
أعاد فيها النظر ونقلهما من الظل إلى الضوء، بعدما لقيت
مسرحياته إعجاباً جارفاً.

لقد تعودنا في كل عام أن نحتفل بذكرى شوقي، وكم
صدرت عنه دراسات، وأقيمت حفلات وصنعت تماثيل.

وأعتقد أن شوقي ثروة مصرية عربية، يجب أن نحافظ عليها وننميها، بترجمة بعض آثاره إلى اللغات العالمية، وإنشاء كرسي خاص به في كليات الآداب بجامعةتنا وإقامة تماثيل له في عواصم المحافظات.

وما زلت أتمنى على أستاذنا الدكتور محمد صبرى صاحب الشوقيات المجهولة أن يتم عمله العظيم، بإعادة طبع دواوين شوقي، وشرح ما فيها من رموز لا يستطيع إدراكها إلا من عاشوا الأحداث التي عاشها شوقي..

وقد عاش الدكتور صبرى هذه الأحداث ورعاها، وسلام على شوقي الفنان الذى قال كلمته ولم يمض.. ولم يتمزق!